اليأس والتشاؤم وغياب العمل الجماعي ؟!!

إذا أراد شعبنا أن يتقدم ويتطور ويتغلب على المشاكل ويحقق كثيرا من طموحاته وأهدافه فلابد أن يزيد رصيده في ثلاث مجالات: العلم بشقيه الفكري والتكنولوجي، والعمل بشقية الإيماني والدنيوي، والإخلاص أي تكون أعمالنا خالصة من اجل وطننا، وهناك معوقات تمنع تحقيق إنجازات طيبة في هذه المجالات لابد من التعرف عليها، ومحاولة التخلص منها، أو على الأقل التقليل من آثارها:

أولا: اليأس والتشاؤم. يجيبك كثير من المخلصين عندما تنصحهم بالجد والاجتهاد والعلم وبأنه لا فائدة من العمل؟ أو ماذا نستطيع أن نعمل فالأوضاع ميأوس منها سياسيا أو ثقافيا أو علميا...؟! أو هل تريد أن تغير الكون؟والحل الذي يقترحونه هو أن ننام وننسى، ولأننا طبقنا هذا الحل، وانتظرنا طويلا، ولأنهم انتظروا، فلم تمطر السماء ذهبا ولا فضة،بل زادت مشاكلنا، فلابد إذن أن نقتنع بان اليأس والتشاؤم لن يأتينا بالخير، وان الهزيمة النفسية (اليأس) هي اشد خطرا من الهزائم العسكرية الكبيرة، إن هؤلاء اليائسين هم أفراد من الشعب وهم من اكبر معوقات الإصلاح ،والغريب أن بعضهم يظن أنهم قاموا بواجبهم، ولا ندري أي واجب هذا الذي قاموا به غير الكسل والهرب واللامبالاة ، ونحن نعلم انه لو كان قد يأس المسلمون لما فتحوا القسطنطينية،بعد محاولات فاشلة كثيرة، ولو يأس الجزائريون لما تحرروا من فرنسا، ولو يأس الأفغان لما هزموا روسيا، ولو يأس الفيتناميون لما هزموا أمريكا،ولو يأس شبابنا في الداخل ما استطاعوا أن ينهضوا في الفكر الثقافي وتوعية الناس رغم الضغوطات التي يعانون منها.

وقد يقول قائل أن هناك صعوبات كثيرة، ونقول: نعم إن الصعوبات موجودة في كل زمان ومكان، فطريق العلم والعمل لم يكن يوما ما مفروشا بالورود، ولماذا ننظر فقط للصعوبات ولا ننظر للإمكانيات المتوفرة من ثروات بشرية كبيرة و غيرها..الخ؟! إن علينا أن نسعى لعمل اكبر عدد من الايجابيات، وتقليل عدد السلبيات، وهذه العملية بحاجة إلى صبر واستمرارية، ووقت وتفكير ودراسة، فالظن بأننا سنقوم بتغيير الواقع خلال سنوات قليلة وهمٌ كبير، فالتغيير دائما ما يكون بطيئا وتدريجيا فشجرة الزيتون تحتاج إلى سنوات من الرعاية حتى تثمر، وتربية الأبناء كذلك، ومحاولة إقناع البعض بفكرة معينة تحتاج سنوات طويلة، فلا توجد عصا سحرية تغير أوضاعنا السياسية والاجتماعية والثقافية وحتى الاقتصادية، فاليأس والإحباط من الطبيعي أن ينتج عندما تكون حساباتنا خاطئة، ولا أقول متفائلة، فالكثيرون يريدون أن يروا نتائج أعمالهم بسرعة، وهذا دليل على جهلهم، فالتغيير لا يحدث بسرعة، ليس فقط في مجتمعنا، بل في العالم كله، فلا الحكومات، ولا الأحزاب، ولا التنظيمات، ولا غيرهم، يملكون عصا سحرية فلابد من السير في الحياة خطوة خطوة. ولكن لاشك أن هذه الخطوات الصغيرة إذا انتشرت في كل مكان في الناس والأفراد والتنظيمات والمؤسسات فإنها ستأتي بخير كثير وسيمكن تجميعها والتحقيق واقع أفضل، ولعل من أهم العوامل التي أنتجت اليأس هي الربط بين العمل والنتيجة، أي نريد أن نرى نتائج أعمالنا في واقعنا، وبأعيننا، وإذا لم نرها فإننا نعتقد انه لا فائدة من العمل فنتركه ونيأس، ونقول إننا شرعا مطالبون بان نعمل أمام شعبنا ووطننا، وان نتقن أعمالنا، وان تكون أعمالنا صحيحة وشرعية وواقعية، وإذا فعلنا ذلك فقد خدمنا مجتمعنا، ومنها نستفيد سواء كان لها تأثير في الواقع، أو لم يكن، فكم من نبي دعا قومه، فلم يستجب له احد أو استجاب القليل،مع هذا فاستمر في العمل ولم ييأس.

أما إتقان علمنا والاستمرارية فيه فهو ضمن سيطرتنا، ونحن محاسبون عليه، وصحيح إننا نحب النجاح، وان نرى نتائج أعمالنا، ولكن عدم رؤية ذلك ليس مبررا لان نترك العمل، فاليأس لا مكان له في قلب المناضل والمكافح، فهو دائما يعمل سواء كانت أمته في المقدمة أو في المؤخرة وسواء نجح أو فشل، والفشل عنده مدرسة يتعلم منها أخطاءه لا مقبرة لمعنوياته وأعماله.

ثانيا: الاختلافات الوهمية. نحن قوم لا ينقصنا اختلافات حقيقة حتى نضيف لها اختلافات وهمية تزيدنا تفرقا وعداء وتشاؤما وضعفا، وتستنزف طاقات وجهود نحن بحاجة ماسة لها حتى نتقدم خطوات، فكثير ما نتصور أن عند الآخرين انحراف في العمل، أو خيانة الوطن أو التعصب القبلي، أو شبهات علمانية، وذلك بناء على مقال قرأناه أو قول سمعناه، أو إشاعة كاذبة، أو سوء فهم لحدث سياسي، أو لمصطلح لغوي، أو غير ذلك، والاختلافات الوهمية كثيرة جدا، فالبيئة الإعلامية ملوثة، والحوارات ناقصة أو غير موجودة وكفاءة الاتصالات ضعيفة، وهناك رغبة في تصديق ونشر الإشاعات، وعدم التبصر والتأكد من صحتها، وكل هذا جعلنا نتصور أن المسافة بيننا وبين الآخرين هي اكبر فعلا مما هي عليه فحتى في مجال العقائد نصدق العقائد الأكثر تطرفا وانحرافا عند الآخرين، ولا نصدق الأكثر اعتدالا وصوابا، مع أنها موجودة وهي السائدة، وان الحكمة والتفكر بالعقلانية والأخلاق تساهم في إلغاء الاختلافات الحقيقة والوهمية ولعل من أهمها العمل الوطني والنية الصادقة في موضوع الاختلاف وحسن الظن بالناس واخذ أقوال وأفعال الناس بنية حسنة وبمعاني طيبة والحرص على صحة المعلومات والبحث عن الحقائق، وعدم الاستعجال، في التصديق أو في رد الفعل وعدم تصديق كل ما يقال، وعدم الحكم على الأفراد من خلال مقال أو كتاب أو قول أو التنبه إلى أن هناك أعداء داخليون (منافقون) وخارجيون يريدون لنا أن نتفرق ونتصارع ونتنازع، فيشوّهون عملنا الوطني من اجل وطننا. ولو فكرنا قليلا فيما يقال أو بحثنا عن المصدر لاكتشفنا انه جزء من الحرب علينا وعلى شعبنا.

ثالثا: غياب العمل الجماعي:العمل الجماعي هو العمود الفقري لعمل الأحزاب والتنظيمات والمؤسسات، ومع دعوتنا للعمل الفردي وعدم التقليل من إنجازاته وأهميتها، إلا أن إنجازات العمل الجماعي هي اكبر وأكثر استمرارية وأصوب رأيا، أكثر شمولية، والعمل الجماعي مطلوب في كل المجالات الفكرية والسياسية والاجتماعية والثقافية، والعمل الجماعي مطلوب بين كل القوى الوطنية والشعبية، فإمكانياتنا تزداد إذا تعاونا مع الآخرين، والفرص المتاحة تصبح اكبر، والأخطاء الخارجية والقيود تصبح اقل، وأعداءنا يحتارون عندما يشاهدوننا نعمل بصورة جماعية، لقد أدركت القوه الفلسطينية وهى نموذجا لنا في طريق النضال أهمية العمل الجماعي، فسعت للوحدة والتعاون لمكافحة العدو... ومن الضروري أن نقتنع بان التعاون مع بعضنا البعض في قضية أو موقف أو هدف يحقق خطوات عظيمة في الاتجاه الصحيح، واختلافات الإجتهادات والآراء لا يجوز أن تكون عائقا في سبيل العمل الجماعي، بل لابد من ترشيد الاختلاف، وتقديم تنازلات وسنفعل ذلك إذا اقتنعنا بأننا مهما حققنا من إنجازات مفيدة ونحن منفردون ستكون اقل بكثير من الإنجازات التي نحققها بالتعاون مع الآخرين، والنجاح في العمل الجماعي يتطلب مرونة وتعاونا وضوابط وتنازلات وحوارات طويلة وصبر ... و الخ.

إن في أهمية العمل الجماعي وضرورة أن تكون مصلحة الوطن فوق مصالح واقتناعات وآراء الأفراد والأحزاب والتنظيمات، وكم من فتن حدثت في العالم لان كل حزب أو تنظيم يريد أن يصل إلى مصالحه حتى لو أدى ذلك لحرق الأخضر واليابس، ولنتأكد انه إذا تعاونا سيستفيد الوطن ونستفيد جميعا وإذا عملنا متفرقين سيخسر الوطن، وسنخسر جميعا، وندرك أن العمل الجماعي ليس سهلا، فهناك آراء مختلفة، واستعدادات متفاوتة للعمل، ومستويات مختلفة من الإخلاص والعلم والثقافة والذكاء ولكن كل هذا لا يجوز أن يجعلنا نيأس، لان فوائد نجاحنا ستكون كبيرة في النهاية.

ابراهيم الاهوازي

لجنة حماية تسمية الأحواز: في شبكة الأحواز Al- Ahwaz.com
تسترعي انتباه السادة القراء ان التسمية التاريخية العربية للمنطقة هي الأحـواز وليست الأهـواز